جهاد النفس والشيطان

- **عودة مرة أخرى إلى خريطة التغيير بشيء من التفصيل:**

١ – التغيير قبل التمكين : – تغيير النفس والشيطان.

– تغيير المنافقين.

– تغيير الظالمين.

٢ – بعد التمكين : – المنافقين.

– الكافرين.

– مع ملاحظة أن هذه التقسيمات تقريبية..

– وإلا فإن جهاد النفس وتربيتها مطلوب في كل حين.

– غير أن قدرا معينا من إعداد النفس لابد من إحرازه وتحصيله قبل التمكين، كتربية النفس على معاني الهمة العالية والرجولة، والاستعداد للتضحية والبذل، وتحمل الأذى، كما حدث مع أصحاب رسول الله ﷺ في أيام الدعوة الأولى حين كان قيام الليل فرضا عليهم.

– والظالمون موجودون في كل وقت، غير أن وجودهم في سدة الحكم هو بذاته أكبر عقبة في طريق التمكين .

obeikandl.com

– والمنافقون موجودون قبل التمكين يثبطون ويخذلون وينشرون روح الشك والفجور والخصام.. كما أن لهم دورهم حتى بعد التمكين كما حدث في دولة الرسول ﷺ في المدينة.

جهاد النفس والشيطان:

– لابد لمن يخوض غمار عملية التغيير بأنواعها ومراحلها من إعداد نفسه ومغالبة هواه وشيطانه.

– وهذا هو أول الميادين.. من نجح فيه كان في غيره أقدر وأنجح.

– ولعل هذا يفسر المقولة الرائعة للمستشار حسن الهضيبي – المرشد الثاني للإخوان رحمه الله – :«أقيموا دولة الإسلام في صدوركم تقم على أرضكم» .

– ويعتبر المسلم لائقا لأنواع ومراتب الجهاد الأخرى إذا كان بدرجة كبيرة عصيا على شيطانه، مالكا زمام نفسه، يصرفها ولا تصرفه.

– يقول الإمام الغزالي: «النفس صالحة بالفطرة لقبول آثار الملك وآثار الشيطان قبولا متساويا ويترجح أحدهما بالمجاهدة (التربية) » .

– وكلام الغزالي مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد شيئا من

ذلك فليعلم أنه من الملك، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان. ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا﴾ [البقرة:٢٦٨]» (رواه الترمذي).

- وسائل التربية:

١- العلم:

فهو الوسيلة لمعرفة الله وخشيته ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] وقوله ﷺ: «وكل شيء يستغفر لطالب العلم حتى الحيتان في الماء» (أبو داود والترمذي وابن ماجه). ثم السعي لتغيير الواقع ليصير موافقا أو أقرب لمشيئته سبحانه كما حددها لنا ورسم معالمها القرآن والسنة بفهم العلماء الصادقين.

- الأمر الذي يحتاج إلى الإلمام بهذا كله.. وهذا هو العلم.

- وفي الأثر: «عالم واحد أعصى على الشيطان من ألف عابد».

- ومن طرائف الأحكام الكلية للشريعة الغراء أن المتفرغ للعلم - أيا كان نوعه مادام نافعا لجماعة المسلمين - ينفق عليه من بيت مال المسلمين، وليس ذلك للعابد المتفرغ لعبادته.

- القدر المطلوب (تحصيله) من العلم لعامة المشتغلين في حقل التغيير هو القدر الذي تسلم به العقيدة، وتصح به العبادة والمعاملات،

والذي يتم به استيعاب واقع المسلمين، والتحديات التي تكتنف عملية التغيير .

٢- العمل:

والمقصود به أن يعمل المرء بعلمه، فلا يعتقد أن علمه وحده سينجيه بغير عمل.

لو كان للعلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس

- ودائما تقترن صفة الذين آمنوا في القرآن بالذين عملوا الصالحات.

- ويتجلى المنهج العملي الرائع لضرورة اقتران العلم بالعمل في منهج الرسول ﷺ أول البعثة حين كان يعلمهم الآيات عشرا عشرا، لا يغادرونها إلى غيرها حتى يحفظوها ثم يعملوا بها .

- ويشمل العمل ما يلي:

أ- التكاليف الشرعية من عبادات.

ب- إجراء المعاملات المالية والعقود والأنكحة وما شابه وفق أحكام الإسلام.

ج- تزكية النفس.. بوسيلتين:

١- كف النفس عما تحب.

obeikandl.com

٢- حملها على ما تكره في طاعة الله.

فأنت تكفها عما تحب كالطعام والشراب والشهوة في رمضان وصوم التطوع، وأنت تكفها عما تحب إن كان ربك لا يحبه، وأنت تحملها على ما قد تكره من الطاعات والذكر لأن ربك يحبه .

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

- وللنفس مناعة إيمانية كالمناعة الحيوية (البيولوجية) للجسد .

- فمثلما تحمى المناعة الحيوية الجسد من الجراثيم والميكروبات فإن المناعة الإيمانية تعصم النفس من الانحراف والزلل.

العوامل التي تؤثر في المناعة الإيمانية :

قال حكيم: «يعرف المؤمن بقوة إيمانه واستعصائه على الشيطان في ثلاثة مواضع:

١- إذا غضب.

٢- إذا رغب.

٣- إذا رهب.

- وبحسب سلوكه في كل حال من هؤلاء تزيد مناعته أو تنقص .

أولا: الغضب :

- وبعض الناس لا يصلح لشيء حال غضبه إلا أن يفسد كل شيء.

- والغضب حالة من حالات انهيار المناعة الإيمانية تدع النفس نهبا لكل جراثيم الغزو الشيطاني .

- قال الرافعي رحمه الله عن نفسه: «ولا يفسد على من أمري شيء مثل الغضب، فإذا غضبت كنت غير من كنت» .

- لذلك فقد جعل الله صفة القدرة على ابتلاع الغيظ ومقاومته واحدة من صفات المتقين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾.

ثم يشرع في سرد صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران] .

قال ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه).

- وقد حددت السنة المطهرة لنا الخطوات الواجب اتباعها في مثل هذه الحالة؛ كي تمر بسلام (حالة الغضب):

* الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

* تغيير الوضع (من جلوس أو اتكاء أو قيام) .

* الخروج من المجلس إذا كان الغضب شديدا أو أن يكون بالمجلس شخص يدفعك وجوده إلى تصاعد الغضب .

* الوضوء.

* الامتناع عن الكلام أو اتخاذ القرارات حتى يزول الغضب.

– لذلك فمن أهم اللوازم النفسية لمن يتعرضون لعملية التغيير ألا تكون قراراتهم انفعالية وإلا فهم بعيدون عن الإخلاص والتجرد منساقون وراء الأهواء جاهلون بقضيتهم مضيعون لرسالتهم .

ثانيا: الرغبة :

– وتشمل طمع الدنيا من (طعام – مال – شهوة – جاه).

– ولكل إنسان جانب من هذه الجوانب يضعف فيها أكثر من غيره فتكون بابا يلج منه الشيطان إلى نفسه فيعيث فيها فسادا.

– لذلك ففي عالم الجاسوسية عندما يراد تجنيد أحد من بلد معاد فإن القائمين على تجنيده ينقبون في جوانب شخصيته ليعرفوا مواطن الضعف فيها .. هل هو نهم للطعام؟ .. هل هو شره للمال أم يسيل لعابه أمام النساء؟ أو هل هو شغوف بالمناصب والسلطان؟!.. ثم يتعاملون معه ويفيدون منه حسب ذلك .

– وقد رتب علماء الأخلاق والتصوف هذه الرغبات (عند غالب البشر) بحيث إن أدناها الطعام ثم المال ثم النساء وأعلاها حب الجاه.

– قال أحد الصالحين : «لو ائتمنت على قنطار من ذهب لظننت أن أؤديه، ولو ائتمنت على جارية سوداء أخلو بها ساعة لخفت ألا أؤديها».

– ولذلك يقول ﷺ : «واتقوا فتنة النساء فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (رواه مسلم).

– وأعلى هذه الرغائب وأصعبها حب الجاه .. قال أحد الصالحين: «آخر حظوظ الدنيا خروجا من قلوب العباد حب الجاه».

ثالثا: الرهبة (وهي الخوف) :

– قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ** ﴾ [آل عمران:١٧٣].

– ويقول المصطفى ﷺ :«ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه، فإنه لا يباعد من رزق ولا يقرب من أجل أن يقال بحق أو يذكر بعظيم» (رواه الترمذي وأحمد).

– والخوف يكون على: (النفس أو المال، أو الأهل والولد، أو المنصب والجاه).

– والمخرج يكمن في تتمة الآية السابقة.. ﴿**فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ**

﴿يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

[آل عمران] .

- وخوف الله وخشيته نعمة كبيرة، إذا سكنت قلب العبد هرب منه كل خوف من غيره.

- والعلم يشفع لأن يوصل العبد إلى مرتبة الخوف.

- لذلك فأحق الناس بخشيته تعالى هم العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] .

- لكن هل كل عالم يخشى الله بالضرورة؟!

- الحقيقة أن الارتباط بين العلم وخشية الله ليس لازما في كل حال.

- إذ من العلماء من يعصي الله جهرة أو سرا.

- ومن العلماء من يخشى الله ولكن خشيته للسلطان أشد.. ومن العلماء من يخشى الله ولكن حرصه على منصبه أو ماله أشد.

- حدثنا أحد الأصدقاء أنه كان قبل أن يمن الله عليه بطريق الالتزام الصحيح والهداية الحقة.. كان في التزامه الزائف يحفظ كل كتب العقيدة المطروحة في الساحة ويدرسها للناس ويفاخر بعمله.. ولكنه إذا أراد أن يعود إلى بيته وأحس بالمخبر يسير خلفه فإنه كان

يموت فرقا وهلعا.. ولم يشفع له علمه في العقيدة الذي يقتضي منه ألا يخاف من غير الله.

٣- الدعوة :

- قد يعجب البعض أن تكون الدعوة من وسائل التربية، ولكن ربما يزول العجب حين نعلم:

١- أن دعوة الآخرين إلى ما نؤمن به هي أعلى مراتب الاقتناع .

٢- وهى فطرة مركوزة في دخائل النفس البشرية، ومستقرة في أعماق الضمير، بحيث يود المرء خالصا من قلبه لو آمن الناس جميعا بمثل ما يؤمن به.

٣- أنها أشرف الأعمال بعد عبادة الله؛ لأنها هي نفس مهمة الرسل والأنبياء، فكيف لا تكون تربية بذاتها؟

٤- أنها مصدر قوة مستمرة للأمة من خلال النصح المستمر والتغيير إلى الأفضل الذي يترتب عليها.. ناهيك عن دخول أتباع جدد إلى حوزة الإسلام، فهي مصدر انتشار أفقي ورأسي للرسالة.

٥- وهى مصدر العناء والمجاهدة والابتلاء المتكرر لأصحابها، فليس عجيبا أن تكون من وسائل التربية.

- وما كان أعداء رسول الله ﷺ ليناوئوه لو كان مشروعه الدعوي قاصرا على حدود القناعة القلبية والطقوس التعبدية .. **والدليل على ذلك:**

أ- أن رسول الله ﷺ لم يكن أول من نادى بالتوحيد، بل كان يعيش في جزيرة العرب من سموا بالحنفاء وهم الموحدون على ملة إبراهيم الذين لم يعترفوا بالأوثان قط مثل: قس بن ساعدة، أمية بن أبي الصلت، زيد بن نفيل، ورقة بن نوفل.

- والنبى ﷺ نفسه عرف عنه عدم السجود للأصنام حتى قبل البعثة، وصديقه الصديق أبو بكر كذلك.

- كل هؤلاء لم يثبت أن أحدا قد تعرض لهم بسوء .

ب- قصة في سيرة ابن إسحاق مؤداها أن رسول الله ﷺ كان ذات يوم من بواكير أيام البعثة الأولى في بيت عمه العباس- ولم يكن قد أسلم بعد- يلتقي أتباعه في بعض غرف بيت العباس .

- وكان في الوقت نفسه قد نزل أحد الغرباء ضيفا على العباس في غرفة أخرى فبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث إذ سمعا همهمة في البيت، فتساءل الضيف عن هذا الصوت مندهشا، فأجابه العباس: لا عليك، هذا ابن أخي يزعم أنه يكلم من السماء، ومعه زوجه (خديجة)، وصاحبه (أبو بكر)، ومولاه (زيد بن حارثة)...

- تقول الرواية أن الضيف استأنف الحديث مع العباس.

- إلى هذا الحد لم يكن خبر رجل يزعم أن الوحي يأتيه من الله عجيبا .. بقدر ما كانت الغرابة وكان العجب لطبيعة هذا الوحي ..

وهذا الدين .. هل هو دين كهنوتي يحمله أتباعه في صمت ويجلسون في محاريبهم ينتظرون كل وافد عليهم فيغيبوا معا في نشوة الصلوات الحالمة ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد؟!

- أم هو دين يسعى لأن يغير خريطة الحياة وواقعها الاجتماعي؟

- ويضبط حركة الحياة ويهيمن عليها ويعيد ترتيب مفرداتها وفق رؤيته؟!

- **وإنني أتساءل** : هل كان رسول الله ﷺ سيتعرض لهذه المخاطر والمصاعب وعذابات السنين الطوال ويوشك مخالفوه على النيل منه أكثر من مرة لولا حفظ الله ومنعه؟! لو قصر همه على الصلاة والدعاء والجلوس في المساجد؟!

وعلى واقعنا اليوم نسقط هذه التساؤلات :

- هل كان يمكن أن يتعرض رجل من رواد الإصلاح والتغيير مثل حسن البنا لما تعرض له وما زال يعترض أتباعه حتى اليوم من سجن وقتل وتشريد وتعطيل المصالح ومصادرة الأموال؟! حتى انتهت حياته على هذا النحو الشاذ؟! لو أن الرجل قد قصر همه على أمور من نوعية : حلقات الذكر، ومجالس العلم، وتحقيق كتب التراث، وإنشاد المدائح النبوية، وحفظ القرآن -دون العمل به- ودفن الموتى، والبحث في قضايا فقهية من نوعية كم كان طول سواك النبي ﷺ ؟!

- فهل وضحت الصورة لنعرف لم يحارب الإسلام؟! ولأجل أي منظور في الإسلام يحارب المسلمون: لأجل المنظور العقدي أم التعبدي أم الدعوي؟

* * *

obeikandl.com

المنافقون
(أثرهم في التغيير - صفاتهم - جهادهم)

- أصل النفاق من النفق وهو سرب في الأرض له مخلص.

- والمعني المقصود هو أن يبطن الرجل الكفر ويظهر الإيمان.

- **والنفاق نوعان:**

١ - نفاق العقيدة : وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان كما أسلفنا.

٢ - النفاق الاجتماعي: وهو مداهنة أهل الجاه والسلطان على حساب الحقيقة لينال صاحبها المال والجاه.

- وكلامنا هنا منصب على النوع الأول.. **ويجب أن نؤكد على عدة معان:**

أ - النفاق موجود قديما وحديثا في ديار الإسلام.

ب - لا نستطيع أن نتهم أحدا بعينه بالنفاق كما علمنا نبينا ﷺ الذي مات ولم يذع أسماءهم.

obeikandl.com

ج - القرآن الكريم والسنة المطهرة رسمت لنا كثيرا من ملامحهم لا لنتهمهم ولكن لنحذر منهم ونجنب المجتمع شرورهم.

المنافقون وأثرهم في التغيير

- ولا شك أن دعاة الإصلاح والتغيير هم أكثر من يعاني من هؤلاء: من كذبهم، وخيانتهم، وإفشائهم أسرار الصف المسلم الذي يعيشون بين ظهرانيه، وإشاعتهم الفاحشة بين الذين آمنوا باسم التحرر والتنوير..إلخ، كما نعاني منهم بتثبيطهم لنا وتحويل الناس عنا واتهامنا تارة بالجمود وتارة بالعمالة وهكذا.

- **صفات المنافقين:**

أ- الصفات الرئيسية: (التي ورد فيها حديث أو آية):

١ - الكذب : «إذا حدث كذب» (من حديث مسلم).

- لا زال المنافقون في كل موقع في الإعلام والحكم يكذبون علينا ليل نهار لا يستحون.

٢ - إخلاف الوعد: «وإذ وعد أخلف ...» الحديث السابق.

- ككل نائب أو حاكم لا يصدق رعيته ولا ينجز لهم ما وعد.

٣- خيانة الأمانات: ومنها أمانة الكلمة .. «وإذا اؤتمن خان».

- فهم أسرع الناس إلى خيانة الأمانة.. وأولها أمانة العمل الصحفي والإعلامي، وأمانة الكلمة التي سوف يسألون عنها.

– ككل من ولي من أمر الناس شيئا فلم يؤده، أو أداه على غير الوجه الذي يرضي الله ويرضي من ائتمنه.

٤– الغدر والخيانة: «وإذا عاهد غدر..».

– ذكرني هذا بأحد رموز المقاومة الفلسطينية، وقد شارك في قتله البطيء أحد الذين صنعهم الرجل بنفسه يوما ما!!

٥– الفجور في الخصام واللدد: «وإذا خاصم فجر»...

– فكم من هؤلاء صافى أناسا بالود ثم لم يلبث أن قلب له ظهر المجن خصاما مبينا حين أقبلت رياح المصالح والشهوات تقتضيه ذلك.

ولا خير في ود امرئ متقلب حيث مالت به الريح يميل

٦– تقلب الرأي والمواقف: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[النساء:١٤٣].

– وذلك لأنهم لا يتبعون الحق وإنما يسعون وراء المنافع المتقلبة دائما في عالم السياسة.

– وهم مع تقلبهم لا يستحون من ذلك أبدا ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ

قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا ﴿١٤١﴾﴾[النساء].

٧- التثاقل عن الفرائض:

- «أثقل صلاة على المنافقين الفجر والعشاء» (رواه ابن ماجه).

- ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[التوبة:٥٤].

- ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[التوبة:٩٠].

٨- البخل عن البذل والإنفاق: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾[محمد:٣٨].

- ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[التوبة].

٩- قلة ذكر الله في أحاديثهم ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء]. فليس لله تعالى وذكره أثر يذكر في أقوال هؤلاء أو كتاباتهم أو مجالسهم، ولو فعلوا ذلك نادرا فمن باب درء الشبهات؛ لكي يخدعوا الناس عن حقيقتهم.

١٠- عدم المشاركة في مشاريع الإصلاح والتغيير.

obeikandl.com

- وذلك لأنهم كالذباب لا يرتاد الأماكن الطيبة بل يرتاد مواطن العفن.

- ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧].

١١- موالاة الكافرين:

- ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء].

١٢- حب شيوع الفاحشة والعمل على ذلك تحت أي اسم .

- قال الله ﷻ في سورة النور: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور].

مثل:

* الترويج للعرى تحت مزاعم أن الحجاب تخلف وحجر على العقول.

* الترويج للعرى تحت زعم الجرأة في الفن، كبعض المخرجين والمخرجات الذين اشتهر عنهم أو عنهن ذلك.

ب - الصفات الفرعية (كل منها فرع عن صفة من الصفات الرئيسة) :

١ - تبني أطروحات الكافرين، والتزلف إلى أصحابها:

- وهي فرع عن الغدر والخيانة، مثل:

- مطالبة بعضهم بإلغاء المادة الثانية من الدستور حرصا على وحدة المجتمع.

- دعاوى عدم صلاحية الشريعة بوجه عام، في الوقت الذي تشيد فيه المؤتمرات والمجامع القانونية العالمية بصلاحية الشريعة الإسلامية واتساعها ومرونتها، وكذا دعوة كثير من المؤسسات الاقتصادية في العالم، ومعهم الفاتيكان مؤخرا، إلى تبنى أساليب الشريعة الإسلامية في التمويل كالمرابحة وغيرها كمخرج من الأزمة العالمية الاقتصادية.

- إطلاق دعاوى اضطهاد الإسلام للأقباط.

- أو أن المسلمين بقيادة عمرو بن العاص قدموا مصر لاحتلال ونهب خيراتها، ويكذبون الادعاء بالفتح وتخليص أهلها من بطش الرومان.

٢ - إشعال الفتن وتأجيج بؤر الصراع داخل المجتمع:

- وهي فرع من الخيانة والغدر والفجور في الخصام واللدد، مثل:

- إثارة قضايا لا على سبيل الإصلاح والتغيير ولكن على سبيل الإثارة والتهييج والبلبلة ونشر الفتن والاضطراب، مثل قضية ختان

الإناث (مع أن كثيرا من الدعاة يتبنون نفس المضمون ولكن على سبيل الإصلاح).

- قضية الحجاب: تبنت كاتبة رأيا في الحجاب رافضا فرضيته (مع أنها لا تحمل أية شهادات علمية من الأزهر أو ما يعادله) فلما اعترض الأزهر لم تجد منبرا تنشر من خلاله رأيها أفضل من إذاعة إسرائيل.

- رئيس مؤسسة ثقافية كبيرة معروف بعدائه للدين استضاف كتابا نشروا روايات حكم الأزهر بكفر أصحابها متحديا الدين والمتدينين، وبحجة حرية الإبداع.

- مع أن هؤلاء لا يسمع لهم صوت أبدا في مسألة المحاكم العسكرية والاعتقالات المتكررة، وعدم تنفيذ أحكام القضاء الإداري بالإفراج عن المعتقلين، وكلها أمور تكال للإسلاميين وحدهم.

- ادعاءات الطائفية واضطهاد بعض الشرائح على نحو يشعل الأمور ويؤزمها (كالأقباط والشيعة والنوبيين والبهائيين).

٣- تبني الأطروحات الانهزامية والاستسلامية:

- فرع عن التثاقل عن الفرائض وخاصة القتال:

- تحت دعاوى أننا لا قبل لنا بأعدائنا وأن القضية الفلسطينية تخسر كثيرا بحمل السلاح بديلا عن المفاوضات .

كيف يتعامل الدعاة ورواد الإصلاح والتغيير مع هؤلاء؟

جهاد المنافقين

١ - إجراء أحكامهم على الظاهر كما أمرنا.

٢ - الحذر من التورط في الاتهام المحدد للأشخاص ، ولتكن سياستنا نقد الأفكار لا تجريح الأشخاص.

- ولعل هذا قريب من المأثور الشعبي: حرص ولا تخون.

٣- كشف زيفهم وفضح مواقفهم المزعومة بالشواهد والحقائق الواقعة أمام الرأي العام بطريقة عاقلة وذكية.

- لدينا في هذا المجال نموذجان:

أ - نموذج تاريخي يتمثل في نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله الذي عاش في زمن وبيئة شبيهين بواقعنا الحالي حيث كان كثير من الحكام حوله في الشام ومصر متورطين في الخيانة والعمالة للصليبين..

- فكان يكتفي بإرساء العدل في مملكته ويظهر ذلك ويعلنه، كما يسعى بكل حكمة لفضح ممارسات الخونة ويعلن ذلك أيضا، فكانت النتيجة أن فتحت البلاد أبوابها أمامه ولفظت حكامها الخونة.

ب - نموذج معاصر: وهو ما فعلته حماس مع بعض رموز الفساد والخيانة في السلطة حين رتبوا بمساعدة إسرائيل وأمريكا وبعض الأنظمة العربية ؛ للإطاحة بحماس والإجهاز على عناصرها.

- فكانوا إزاء ذلك حذرين ويقظين فلم يفوتوا الفرصة عليهم وحسب بل أمسكوا بأيديهم الأدلة الواقعة التي فضحت المتورطين أمام الجماهير دون سب أو تجريح.

جهاد الظالمين

- إحدى المشكلات الكبيرة في عملية التغيير هي وجود قيادات جائرة تمسك بدفة الحكم في أكثر ديار المسلمين .

- وهي ليست جائرة فحسب بل خائنة في بعض الحالات لله ولرسوله ﷺ ومصالح شعوبها.

- يتمثل ظلم هذه القيادات في الطريقة التي أتوا بها إلى الحكم بعيدا عن أي إرادة شعبية حرة.. ولما كان القانون السائد في عالم السياسة هو: (أن كل حاكم أو مسئول يعمل لحساب الجهة التي أتت به).

- فمن أتت به إرادة شعبية حرة فسيعمل لأجلها.

- ومن أتت به أمريكا أو إسرائيل فيعمل لأجلها وهكذا، فليس عسيرا أن يفهم الإنسان العادي لحساب من يعمل هؤلاء .

- ويشكل واقع الظلم الذي يصبغ لون الحياة في ديار المسلمين عقبة من وجهين:

١- أنه باعتباره فسادا في الحكم والسياسة فإنه يترتب عليه فساد واضطراب في كل مناحي الحياة... (تعليم ، صحة ، اقتصاد ، زراعة ، تصنيع ، عمران ، تسليح، مرافق، تجارة) .. وذلك لأن الذين أتوا إلى الحكم عبر هذه المسارات بعيد أن تكون همتهم منصرفة إلى شيء غير تأمين بقائهم في أماكنهم بأي ثمن، فتتبدد موازنات البلاد كلها أو جلها في هذا الطريق.

٢- أن بلاد المسلمين -والحال كما سبق- لا أمل لها في مواجهة المشروع المعادي (الصهيوني ، الغربي).. كمستهدف حضاري يتعلق به مصير الأمة وهويتها قبل إصلاح الأمور داخل بلادهم .

- وذلك لأن هذه الأنظمة في الغالب قد استمدت مفاتيح وجودها وبقائها من أصحاب هذا المشروع المعادي.

- فمواجهة هذا المشروع أولا تقتضي التخلص من هذه الأنظمة .

- ومما لا ينقضى منه العجب أن أصحاب هذه المشاريع المعادية لا يملون منذ عقود طويلة من ترديد مقولة واحدة مضمونها: أن على هذه الأنظمة أن تكف عن استبدادها وانتهاكاتها المستمرة لحقوق الإنسان مع تشديد النكير على ضرورة تطبيق الديموقراطية.

– والأمر لا يعدو أن يكون مزايدة وممارسة الضغوط على هذه الأنظمة لتمرير أجنداتها (أجندات أصحاب المشاريع المعادية) .

– وأقرب مثال على ذلك ما أبداه الاتحاد الأوروبي مؤخرا (٢٠٠٨) على أحد الأنظمة العربية من مآخذ حول غياب الديموقراطية وانتهاكات حقوق الإنسان، ثم أضافوا إليها: وتهريب السلاح إلى المحاصرين في غزة.. فكأن الحديث عن الديموقراطية واجهة، والهدف الحقيقي هو حماية مصالح إسرائيل بخنق المحاصرين وقتلهم.

– والذي لا أشك فيه أن أصحاب المشروع المخالف ليس من مصلحتهم البتة أن تطبق هذه الأنظمة الديموقراطية في بلادنا؛ لأنهم يعرفون بمن ستأتي الديموقراطية، لذلك فهذه الأنظمة المستبدة أحب إليهم ألف مرة ممن يمكن أن تأتي بهم الديموقراطية وهم الإسلاميين المعتدلين .

* * *

obeikandl.com